

واقع قيم المواطنة في الجزائر بين الاعلام الجوّاري وتأثيرات العولمة الإعلامية

عايد كمال*

مقدمة:

منذ نهاية الحرب الباردة في بداية التسعينات خضع العالم لتحولات جذرية متسارعة لم يعرفها مسبقا في تاريخه الانساني، وتمثلت أساسا في الانفجار التكنولوجي الهائل الذي مس جميع جوانب الحياة البشرية بداية من الوضع الاقتصادي والسياسي مروراً بالجانب الاجتماعي والثقافي ويتجلى ذلك في التطور الرهيب لوسائل الاعلام والاتصال التي تقوم حاليا بعملية اختراق وتأثير في المنظومات القيمة للمجتمعات التقليدية وهذا ضمن ما صار يعرف بالعولمة الإعلامية أو النظام الاعلامي العالمي الجديد¹.

وحيث أن المجتمع الجزائري ليس بمعزل عن هذه الظاهرة صار لزاما على الاعلام المحلي أو الجوّاري أن يلعب دورا إيجابيا في الحفاظ على توازن المجتمع من خلال بناء وتعزيز ودعم قيم المواطنة لدى الأفراد ، ورفع التحدي أمام الاختراق الثقافي الذي تقوم به وسائل الاعلام الحديثة . وهذا ما يجعلنا نحو التساؤل التالي :

ماهو واقع قيم المواطنة في الجزائر ما بين الاعلام الجوّاري وتأثيرات العولمة الإعلامية ؟

1- تحديد المفاهيم :

1-1 القيم :

عندما نتحدث عن القيم أول ما نستحضره هي مجموعة من المبادئ الأساسية المشتركة بين جماعة بشرية أو مجتمع بأكمله، علما أن هناك مبادي كونية يتقاسمها بني البشر، نجدها في المواثيق الدولية والداستير الوطنية، وفي المناهج والبرامج التعليمية لكل بلد ، الى جانب ذلك هناك مبادئ خاصة منها ماهو مرتبطة بالتراث الثقافي والاجتماعي لجماعة معينة عادة ماتكون ملموسة

* طالب(ة) تلمسان kame1_A13@live.fr

في السلوك اليومي لأفراد تلك الجماعة، ومنها القيم الفردية وتتجلى بدورها في صفات وسلوكات ومواقف وتوجهات كل واحد من أفراد الجماعة او المجتمع².

كما يمكن ان نعرف القيم على انها مجموعة من المبادئ والقواعد العليا التي يؤمن بها الناس ويتفوقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون بها اعمالهم ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية.

تعرف القيم كذلك بانها مجموعة من القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما، وتكون لها القوة و التأثير على الجماعة بما لها من صفة الضرورة والالزام والعمومية، وأي إلزام أو انحراف عنها يصبح بمثابة خروج عن اهداف الجماعة ومثلها العليا.

إذن من خلال هذه التعاريف يمكن ان نقسم القيم الى عدة مجالات نوجزها باختصار :

القيم الخاصة، القيم الأخلاقية، القيم الاقتصادية، القيم الدينية والعقائدية.

2-1 مفهوم المواطنة :

المواطنة من المفاهيم ذات الطبيعة الحركية والمرنة والمتعددة الأبعاد والقيم والمداخل الحضارية وهو ما يجعل من ضبط مفهومها، والاتفاق على دلالة علمية موحدة لها من الأمور الصعبة نظريا وعمليا، وإن كان من الممكن التأسيس على القيم و المبادئ المشتركة في هذا المجال للوصول الى تعريف إجرائي عام .

فلغويا، لمواطنة أو المواطنة كلمة دخلت الى اللغة العربية في بدايات القرن العشرين، وقد أرجع اشتقاقها الى عدة مصادر منها الفعل "واطن"، وكلمة "وطن". وتشير حصيلة الدلالة اللغوية للمواطنة في اللغة العربية الى التشارك في الوطن والعيش في مكان واحد، وهي دلالة صحيحة، ولكنها غير كاملة مقارنة بما يحمله هذا المفهوم اليوم من حمولات قانونية وسياسية وعاطفية³. جاء في لسان العرب لابن منظور أن الوطن: المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحل ووطن بالمكان وأوطن: أقام، وأوطنه: اتخذه وطنا، ويقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها، وأوطنت الأرض و وطنتها توطينا واستوطنتها أي اتخذتها وطنا. وكذلك الاتطان والوطنية والمواطنة من ذلك .

في اللغة اللاتينية : اشتق اصطلاح المواطن " citoyen " عن كلمة " ستيفانوس (civic) أو (civitas) اللاتينية المعادلة تقريبا لكلمة " بولس (polis) " اليونانية والتي تعني كلمة المدينة كجماعة سياسية مستقلة لا كجماعة من السكان فحسب. فمعناه السياسي الكلاسيكي يعني باللاتينية عضوا في الدولة أو جزء منا (جزء من كل)⁴.

أما اصطلاحا فتوجد عدة تعريفات حيث عرفت المواطنة في "موسوعة كولير الأمريكية" بأنها: "أكثر أشكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالا، وهي لا تتميز عن مفهوم الجنسية. وأشارت "دائرة المعارف البريطانية" إلى المواطنة بأنها " : علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق فيها" وتؤكد أيضا بأنها تدل ضمنا على مرتبة من الحرية مع مات يصاحبها من مسؤوليات، وتختتم المفهوم بأنه عموما يسبغ بحقوق سياسية مثل حق الانتخاب وتولي المناصب العامة. هذا وقد عرفت في قاموس علم الاجتماع على أنها: "مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الثاني مهمة الحماية، وتحدد هذه العلاقة بين الشخص والدولة عن طريق القانون كما يحكمها مبدأ المساواة" ويضيف أن المواطنة تشير في القانون الدولي إلى فكرة القومية وذلك رغم أن الأخيرة أوسع في معناها من الأولى، وطالما أن المواطنة تقتصر فقط على الأشخاص الذين تمنحهم الدولة حقوقا معينة فإن المنظمات والشركات المساهمة لها قومية لا مواطنة، ويشير المفهوم في علم الاجتماع إلى الالتزامات المتبادلة بين الأشخاص والدولة، بحصول الأولين على بعض الحقوق السياسية والمدنية باتمائهم إلى مجتمع سياسي معين ويكون عليهم في الوقت نفسه بعض الواجبات يؤديها

أما إذا أردنا تعريفا إجرائيا للمواطنة فنجد التعريف الذي اقترحه محمد عثمان الخشت الذي اعتبر بأن المواطنة في شكلها الأكثر اكتمالا في الفلسفة السياسية المعاصرة هي "الانتماء للوطن ، انتماءا يتمتع المواطن فيه بالعضوية الكاملة الأهلية على نحو يتساوى فيه مع الآخرين الذين يعيشون في الوطن نفسه مساواة كاملة في الحقوق والواجبات، وأمام القانون، دون تمييز بينهم على أساس اللون او العرق أو الدين أو الفكر أو الموقف المالي أو الإنتماء السياسي. ويحترم كل مواطن المواطن الآخر، كما يتسامح الجميع تجاه بعضهم البعض رغم التنوع والاختلاف بينهم".

ويعكس هذا التعريف الجوانب المهمة في المفهوم المعاصر للمواطنة والمتمثلة في العضوية جماعة سياسية (دولة)، المساواة، التمتع بالحقوق وأداء الواجبات، غياب ممارسات التمييز، الاحترام المتبادل بين المواطنين، الاعتراف بالتنوع وحسن تسييره. وهي الجوانب التي اكتسبها هذا المفهوم من حضارات وثقافات مختلفة عبر مراحل تطوره التاريخي.

ومن المهم الإشارة هنا الى مجموعة من الاعتبارات التي تزيد في ضبط المفهوم، وتجعله أكثر إجرائية وقابلية للقياس والمتابعة والمقارنة⁵:

- المواطنة اعمق من كونها علاقة قانونية مجردة ، فهي مشحونة بمحولات عاطفية تتجسد في الشعور بالانتماء وحب الوطن والاستعداد للدفاع عنه والتضحية من أجله 'الوطنية'.
- المواطنة ليست علاقة عمودية بين المواطن والدولة فقط وإنما هي علاقة أفقية أيضا بين مواطني الدولة الواحدة، والتي ينبغي أن تتسم بالتعايش والتسامح والاحترام المتبادل.
- تكريس المواطنة وتفعيلها يتطلب إيمان المجتمع ومؤسساته بجملة من القيم أبرزها : المساواة والحرية والمشاركة والمسؤولية الاجتماعية.
- تتضمن المواطنة "بعدا وظيفيا" تترتب بموجبه حقوق والتزامات يؤديها كل طرف للأخر، وتلك الحقوق والواجبات تؤكد المواثيق الدولية، وتشير اليها وتتضمنها دساتير كل الدول، ولا تستقيم المواطنة الا بالتلازم والتوازن بين تلك الحقوق والواجبات.
- لا يقتصر مفهوم المواطنة على البعدين القانوني والسياسي فقط، وإنما يتعداهما الى جوانب وابعاد عديدة اخرى ، كالاقتصاد والثقافة والادارة والبيئة، وللمواطنة عدة مستويات محلية وطنية اقليمية وعالمية متكامل فيما بينها لتشكل لنا خصائص وصفات المواطن في القرن الحادي والعشرين، الذي يعي ويمارس واجباته، ويتمتع بحقوقه على مختلف تلك المستويات.
- مما سبق يمكن استخلاص مجموعة من السلوكات والممارسات التي تتضمنها قيم المواطنة⁷ :

1- تعزيز قيم التسامح.

2- تنمية حرية التعبير عن الرأي.

3- تعزيز قيم التعاون بين أفراد المجتمع.

- 4- تعزيز الانتماء والولاء الوطني.
- 5- تعزيز الثقة بالنفس.
- 6- تنمية قدرة الإنسان على التمسك بحقه.
- 7- إبراز دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية الاجتماعية.
- 8- مراعاة أخلاقيات المجتمع.
- 9- تنمية مهارات الحوار والانفتاح على الآخرين .
- 10- تنمية القدرة على إصدار الأحكام الموضوعية على الأشياء دون تحيز.
- 11- المساهمة في إغناء ثقافة الحوار الإيجابي.
- 12- تعزيز الإدراك بقيمة الحرية الشخصية واستقلالية الذات.
- 13- التأكيد على ضرورة مساعدة أفراد المجتمع في تلبية حاجاتهم.
- 14- تنمية قيم التضامن بين أفراد المجتمع.
- 15- تعزيز مبدأ نبد العنف والتمييز بكل أشكاله.
- 16- تقدير قيمة العمل الجماعي والانخراط فيه.
- 17- الاهتمام بقضايا ذوي الحاجات الخاصة.
- 18- إدراك الحقوق وممارستها والدفاع عنها.

1-3 الإعلام الجوّاري :

يعرف الاعلام حسب قاموس المصطلحات الاعلامية بأنه عملية تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة الصادقة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع او مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولاتهم"

يعرف كذلك بأنه عملية ديناميكية تهدف الى توعية وتنشيط وتعليم واقناع مختلف فئات الجماهير التي تستقبل مواده المختلفة وتتابع برامجهم وقراته.

ويعرفه سمير حسين على انه مجمل أوجه النشاط الاتصالية الهادفة إلى تزويد الجمهور بكافة المعلومات والحقائق الواقعية الصحيحة قصد خلق أكبر درجة من المعرفة والوعي والإدراك للفئات المتلقية للمادة الإعلامية حول كل القضايا والموضوعات والمشكلات المثارة⁸.

في تعريف اخر نجد ان الاعلام هو "الاقناع عن طريق المعلومات والحقائق والارقام والاحصاءات والتعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت، وهو ليس تعبيراً ذاتياً من جانب الاعلامي سواء كان صحفياً او إذاعياً.

نخلص من التعاريف السابقة الى القول بأن الاعلام مشتق من العلم ويعني نقل الاخبار الى عدد كبير من الناس ومحاولة الاتصال بالجمهور باستخدام وسائل التبليغ والتأثير. وفي هذا الإطار يتجسد الاعلام الجوّاري الذي يعكس واقع المجتمع المحلي حيث يقوم بتعريف المواطنين بالقضايا السياسية والاجتماعية والثقافية و الاقتصادية المطروحة داخل مجتمعاتهم كما يقوم بدور كبير في تكوين الرأي العام والتأثير في اتجاهاته ومعتقداته، ويركز الاعلام الجوّاري على النقاط التالية :

- المنطقة الجغرافية أي وجود مسافة محدودة النطاق.
- الزمن وهو الفترة التي تعرض وتبث فيها المواد الاعلامية.
- القانون الجوّاري الذي يتجسد في النظام الاجتماعي السائد في المجتمع من عادات وتقاليد وقيم.

وهكذا يمكن تعريف الاعلام الجوّاري بأنه "المنظومة الاعلامية التي تعالج قضايا التنمية المحلية، وهو يعد فرعاً أساسياً ومهماً من فروع النشاط الإعلامي، ويهدف من حيث الأساس الى خدمة القضايا العامة للمجتمع المحلي"⁹.

1-4 العولمة الإعلامية :

يرتبط مفهوم العولمة الاعلامية بظاهرة العولمة التي يعرفها الباحث عمر جاه كالاتي " العولمة هي عملية خلق مجتمع عالمي واحد، ذو ثقافة واحدة، ويتمثل الهدف الرئيس للثقافة الجديدة في تهميش الثقافات التقليدية، بأن يستبدل بها مايشعر به أنها ثقافة دينامية عصرية تقوم على فلسفة حياة علمانية، مادية تتألف في معظمها من القيم الغربية المادية والفردية والثقافة الاستهلاكية".

المستجدات، حب المعاملة بالمثل، عزة النفس والأنفة، حب العدالة والمساواة، الحساسية وعدم تقبل النقد، الاندفاع والتعصب للرأي الى غير ذلك من الصفات .

هذا التنوع الفسيفسائي في المجتمع الجزائري جعل من المواطنة في الجزائر تتميز بثلاث مقاربات ، مقارنة رسمية خاصة بالسلطة ، مقارنة عند النخبة المثقفة ومقاربة أخيرة في الخطاب الشعبي السائد . حيث نجد أن الخطاب الرسمي يركز أكثر على الواجبات ، وذلك كرد فعل على الخطاب الشعبي الذي يطالب أكثر بالحقوق والذي يمارس نوعا من المواطنة السلبية التي تقوم على تحصيل الحقوق والامتناع عن الواجبات لذلك تسعى السلطة على تغيير هذا المفهوم من اجل خلق توازن بين الحقوق والواجبات ، وهذا لايعني بأن الكل مقصر بل هناك العديد من الفئات البسيطة ممن يخلصون في اداء مهامهم والتزاماتهم تجاه المجتمع والوطن دون أن ينتظروا مقابلا ، أما في المقاربة النخبوية للمواطنة في الجزائر فتمتيز بقرها من المفهوم الغربي الشائع الذي يقوم على أساس رابطة قانونية تقوم على مبدأ التوازن، ورغم مثاليتها الا انها تبقى حبيسة الإطار الأكاديمي لعدم قدرة المثقف الجزائري على ايصال مفاهيمه وافكاره سواء للمسؤولين أو في المجتمع مما يجعل هذا الفكر حكرا على هذه الفئة ولا يعكس واقعها الفعلي في الجزائر¹².

3- إشكالية التأثير بين الاعلام الجوّاري والاعلام العالمي :

أدى التطور الكبير لتكنولوجيا الاعلام والاتصال الى تغيير في الخريطة الاعلامية العالمية ، حيث تعد القنوات الفضائية والانترنيت من أهم الإنجازات التكنولوجية في عالمنا اليوم، فقد كسرت الحواجز التقليدية بين الشعوب، وقاربت بين الثقافات، وسهلت تداول الأخبار وتبادل وجهات النظر وساهمت في توسيع افاق المشاهدين وفتح أبواب المعرفة الثقافة بما تقدمه من برامج علمية وثقافية هذا من جانب إيجابي مثالي ، ومن جانب اخر ظهرت بعض المصطلحات الجديدة مثل الهيمنة الثقافية والعمولة الإعلامية خصوصا مع تعدد مصادر المعلومات وزيادة تدفقها وعدم القدرة على التحكم فيها صار لزاما على وسائل الاعلام المحلية أن تواكب وتيرة هذا التدفق من خلال مسايرة العصر وعدم التوقع نحو الخلف ، وهذا من خلال تقديم مواد إعلامية جديدة بالمتابعة من قبل الجمهور المحلي ، حيث تلامس واقعه وتحس بمعاناته ، وهذا في ظل الهيمنة الكبيرة للفضائيات العالمية التي دخلت بيوت الجزائريين بدون أستئذان ، وصارت تقدم لهم قيما وسلوكات

جديدة لم يعرفها المجتمع من قبل ،وبغض النظر عن إيجابياتها أو سلبياتها يجب الاعتراف بأنها صارت البديل الاول للأسرة الجزائرية ، حيث يمكن أن نصنف اسباب الانتشار السريع لظاهرة تلقي البرامج الفضائية الى العامل المادي أولا، والى المعطيات الثقافية والاجتماعية والسياسية ثانيا¹³.

إن توفر وانخفاض أسعار وسائل البث جعل كل فرد يمتلك أجهزته الخاصة به ، حيث أن التلقي اليومي لهذا الكم الكبير من الأخبار والمعلومات سيأثر في المنظومة القيمية للمواطن الجزائري ، كما يعمل على إضعاف القيم التقليدية خصوصا ثيم المواطنة حيث أن تغير السلم القيمي لصالح الأفكار الحديثة والأنماط السلوكية الجديدة قد لا يتوافق مع عادات وتقاليد وهوية المجتمع المحلي .

وهنا تبرز مشكلة تعرض الفرد الجزائري لمضامين هذه القنوات الفضائية ودورها في التأثير عليه .

ودون الخوض في تاريخ نشوء وانتشار مثل هذه القنوات نجد أن دراسات حديثة تؤكد ظاهرة الإحتراق الثقافي الأمريكي بإعتبارها الثقافة المهيمنة في المشهد الإعلامي العالمي، حتى صارت المجتمعات الأوروبية تشكوا منه وتحذر من خطر "المطرقة الثقافية" الامريكية على الثقافات الوطنية الأوروبية.

إن الانتشار السريع للبث التلفزيوني المباشر، وظاهرة تنامي القنوات التلفزيونية الغربية والأمركية ، يهدف الى عمولة العالم من خلال المعلومات وتكنولوجيا الاتصال وتوحيد مضامين الارسال ضمن نظرة احادية أمريكية ،لذا يرى هيربرت شيللر أن هناك أهدافا سياسية وعسكرية وثقافية ترتبط بعملية توسيع نطاق البث التلفزيوني الأمريكي ومحاولة الوصول الى جماهير الدول الأخرى¹⁴.

لذا يتجلى دور وسائل الاعلام المحلية في تعزيز القيم بصفة عامة وقيم المواطنة بصفة خاصة في ثلاث نقاط أساسية :

- ملامسة الواقع الاجتماعي للمواطن الجزائري.
- تقديم مضامين إيجابية وفتح المجال للتفاعل أمام الجمهور المتلقي.
- الاهتمام بالجانب التاريخي والقيمي للمجتمع من خلال تميمه وترقيته.

خاتمة :

لقد حاولنا من هلال هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على اشكالية التأثير في قيم المواطنة من خلال وسائل الاعلام المحلية والعالمية ، وهذا من خلال ضبط المفاهيم الأساسية ، كما يتضح لنا أن العالم يعيش تجاذبات كبيرة يقع ضمنها المجتمع الجزائري الذي لم يعد بمعزل عن الأحداث التي تحيط به ،

لذا وجب على وسائل الاعلام المحلية أن تعمل على تحصين هذا المجتمع والحفاظة على بنيته القيمية وعدم السقوط في فخ التكرار وتقدم مضامين اعلامية غريبة ذات طابع محلي . في الأخير تبقى هذه المداخلة محاولة طرح مجموعة من الإشكاليات التي تصلح أن تكون منطلقا لدراسات إعلامية أخرى.

الهوامش

- 1- عبد الرحمن عزوي والسعيد بومعيزة، الاعلام والجمع، رؤية سوسولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية والاسلامية، دار الورسم، ط1، الجزائر 2010. ص 456..
- 2- محمد فاتحي، التربية على قيم المواطنة والسلوك المدني، المفعول الفردي والمسؤولية المشتركة، مجلة عالم التربية ، العدد 21، المغرب 2012، ص 609.
- 3- منير مباركية، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة وحالة المواطنة في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2011 ، ص 08.
- 4- برفوق عبد الرحمان، الفرد في المجتمع الجزائري هل هو مواطن؟ مجلة العلوم الانسانية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري 27-28 فيفري ، جامعة بسكرة الجزائر، ص 233.
- 5- منير مباركية، مرجع سابق، ص 11، 10.
- 6- بسام محمد أبو حشيش، دور كليات التربية في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة المعلمين بمحافظات غزة، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الأول، فلسطين، يناير 2010. ص 261-262 .
- 7- سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بال جماهير والرأي العام، القاهرة :عالم الكتب، 1984 ، ص 21 .
- 8- عيسى بن هاشم، الاعلام الجواربي السمعي ودوره في تنمية الثقافة الفنية والاجتماعية والاقتصادية المحلية ، إذاعة تلمسان نموذجاً، رسالة دكتوراه قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2010-2011، ص 26، 27.
- 9- نسيمه طبشوش، القنوات الفضائية وأثرها على القيم الأسرية لدى الشباب، دار كنوز الحكمة، الجزائر 2011، ص 15، 16.
- 10- عزوي عبد الرحمن ، السعيد بومعيزة ، مرجع سابق ، بتصرف .
- 11- منير مباركية، مرجع سابق ، بتصرف ص 155 ، 159 .
- 12- مصطفى مجاهدي، برامج التلفزيون الفضائي وتأثيرها في الجمهور، شباب مدينة وهران نموذجاً، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2011، ص 39، 44.
- 13- نسيمه طبشوش، مرجع سابق، ص 08.